ايطاليا ضيف شرف معرض القاهرة الدولي للكتاب:

اعلان مبكر عن مؤتمر لأدب الأطفال في نهاية الشهر وهيئة الكتاب تتعثر في اعلان برامجها لمعرض الأطفال والكبار

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من محمود قرني:

يستعد المركز الثقافي الايطالي بالقاهرة للاعداد للمشاركة الايطالية الموسعة في معرضي الكتاب للأطفال والكبار، حيث وقع الاختيار على ايطاليا لتكون ضيف شرف المعرض في دورته القادمة، ومن المقرر أن تطلق فعاليات معرض القاهرة الدولي لكتب الأطفال في الفترة من 28 تشرين الثاني (نوفمبر) الجاري حتى الثامن من كانون الاول (ديسمبر) القادم على أن تنطلق فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب للكبار في الثالث والعشرين من كانون الثاني (يناير) المقبل على أن تنتهي في السابع من شباط (فبراير) من الشهر نفسه.

ومن المقرر أن يعرض في الجناح الايطالي أهم كتب دور النشر الخاصة للأطفال مثل: سالاني، أوريكيو، اتشيربو، سينوس، بيمي، كارتوسيا، كوتشينيلا، توبي بيتوري.

الى جانب ذلك سيقيم الجناح الايطالي مؤتمرا تحت عنوان «تخيل واعرف»، وتحت عنوان فرعي هو «الأدب والانتشار والرسوم في كتب الأطفال»، وذلك خلال يومي التاسع والعشرين والثلاثين من تشرين الثاني (نوفمبر) ضمن فعاليات المعرض.

وتشير أوراق العمل الى احتواء القسم الأول على ورشة عمل حول التخيل انطلاقا من التطور الملحوظ الذي شهدته مطبوعات الأطفال خلال العشرين عاما الأخيرة، الأمر الذي جعلها احدى أهم القطاعات في مجال المطبوعات الايطالية، حسبما تشير أوراق المؤتمر، وأسباب ذلك النجاح كثيرة ومتعددة وتتردد داخل أوساط طباعة كتب الأطفال، ومن هذه الأسباب والدلالات يمكن الوقوف على دوافع النجاح وكذلك التعرف على المشكلات والعقبات التي تواجهه في هذا النوع من العمل، وتقول أوراق الورشة: انه بعيدا عن الأرقام التي تشهد بنجاح وارتفاع نسبة المبيعات يجب أن نسأل أنفسنا الى أي اتجاه تذهب اصدارات كتب الأطفال في بلادنا والى من تتوجه: الى نمط استهلاكي من الكتب التي تحقق مبيعات ضخمة، أم الى تكوين شخصية قارئ في المستقبل قادر على ادراك ما حوله ويتسم بالنهم للمعرفة ونقد ما حوله؟ وفي هذا الاطار وداخل هذه التساؤلات تأتي ورشة «التخيل» التي تحمل عدة عناوين رئيسية ستكون موضوعا للنقاش هي: مطبوعات الأطفال في ايطاليا، موقفها واحصائياتها، وأنواع قصص الأطفال: الرعب، الخيال، الصفراء، وناشرين صغار وكتب كثيرة، وكذلك البحث عن بطل دائم في القصة الموجهة للأطفال والفتيات، وسوف يشارك في الندوة ثلاثة من الناشرين والكتاب الايطاليين بالاضافة الى المغربي عبدالرحيم المؤذن، وبعض أصحاب دور النشر وكذلك سوف تشارك دار الشروق عبر مسؤولة كتب الأطفال بها السيدة أميرة أبو المجد وسيدير الندوة أنجيلو جوبي.

أما القسم الثاني من المؤتمر فسيكون تحت عنوان «قصص، كلمات، صور» وينطلق هذا المحور من الشهرة التي حازتها كتب الأطفال الايطالية بقدرتها على خلق تجانس وحوار بين الأشكال والكلمات، فأحيانا ما يشكل الكاتب والرسام ما يشبه الحوار بينهما كما هو الحال بين كولودي وماتسانتي، وسالجاري، وسوف يشارك في هذه الندوة من مصر يعقوب الشاروني كاتب الأطفال المعروف، وسوف تكون المحاور الرئيسية للندوة هي: أدب الأطفال والتردد، التقاليد الخيالية الايطالية، المواضيع الحديثة والكتاب المعاصرون، الرسامون الايطاليون اليوم، كان ياما كان في ايطاليا: تاريخ طباعة الكلمات والأشكال، المواقف الشهيرة للرسام، وسوف يشارك في الندوة روبرتو دينتي وعدد من دور النشر الايطالية.

ويأتي القسم الثالث من المؤتمر تحت عنوان «جذور المعرفة» وذلك في اطار الحديث حول التعليم والانتشار، حيث ترى أوراق المحور أن الكلمات مثل المعرفة، حيث ان الادراك والثقافة دائما ما كانا يميلان نحو استخدامهما بالصورة المفردة، ومن يعش تلك الطفرة الثقافية اليوم، يعلم أن تلك الكلمات تأخذ أبعادا مختلفة عندما تذكر بصيغة الجمع: فالمدارك تستدعي الأشكال المختلفة للمعارف التعليمية المفردة بأدق التفاصيل والمعاني المختلفة، ونفس الشيء يحدث بالنسبة لكلمتي ثقافة وثقافات حيث يحضر الى الذهن جماعية اللغات والتقاليد في العالم، وفي نفس الوقت فان أصول كل ثقافة وكل ادراك تمثل جذور المعرفة، ومن يهتم بتوسيع المدارك يعلم مدى أهمية احياء تلك الأصول ليعطي خلفية تاريخية ونقدية حول تطور المعارف، وتأتي عناوين هذا المحور تحت عناوين لافتة مثل «علم الأنثربولوجيا للأطفال» ويتحدث جوليو ليفي حول المعرفة والخيال والتسلية في قصص الأطفال، كما يتحدث ماريو أركا حول كيفية كتابة المعلومات العلمية للأطفال، ويتحدث والترماراسكيني حول علاج كراهية الأطفال للرياضيات، وتشارك من الجزائر «أنيسا مزيان» وتتحدث حول الصورة كتدعيم للنص وعلاقتها المكملة له، وسوف تدير الندوة أرندا توركي، وسوف تشارك في الندوة، أيضا سوف تشارك في الندوة بعض دور النشر.

أما القسم الرابع من الندوة فيأتي تحت عنوان «كلمات وصور لأطفال منطقة البحر المتوسط» وذلك من واقع أن الصور والأقاصيص والحكايات هي الخيوط التي ينسجها الطفل ليكون شبكة معارفه الخاصة، فتلك الخيوط مرتبطة بلا شك بنشأته وعاداته وتقاليده وثقافة عالمه، ولكنه لا يجب أن يتقوقع أو يقف عند حدود تلك المعارف بل عليه أن يوسع مداركه ليتعرف على ثقافات أخرى، وفقط عن طريق الاحتكاك بقصص وصور وحكايات الثقافات الأخرى يمكن تكوين ادراك قادر على التوجه بين كل التيارات المعرفية التي تغرقنا حاليا.

ويأتي هذا القسم تحت عدة عناوين تبدأ بالتربية متعددة الثقافات وأدب الأطفال ويتحدث فيها فينيكو أونجينيي، والعالم العربي في كتب الأطفال الايطالية وتتحدث فيها ماريا ألبانو، وطريقة الأساطير والكلمات والصور، وتقديم ابن خلدون للأطفال وتتحدث فيها نقلة ذهب من تونس، كما يتحدث السوري عمر علوان تحت عنوان «جسر الكلمات الصغيرة» كما تتحدث من مصر ماجدة الجندي تحت عنوان «الكتاب هو جسر الثقافات».

الى جانب تلك الفعاليات الايطالية التي سوف يشهدها معرض القاهرة الدولي لكتاب الأطفال، سوف يقيم المركز الثقافي الايطالي عدة فعاليات فنية في مركز قصر ثقافة الغوري للثقافة والابداع حيث يشهد اليوم الأول للمؤتمر ورشة عمل لرسوم الأطفال تعدها «كيارا كارير» مع الأطفال المصريين، وكذلك تعد ورشة أخرى مع رسامين، وكيارا احدى أشهر رسامي الأطفال في ايطاليا، حيث فازت عام 1999 بجائزة آندرسون كأحسن رسام، وسبق لها أن مارست التدريس في المكتبات والمدارس العامة والخاصة، بتنظيمها معامل الرسم والحفر، وقد رسمت مئات الكتب التي حصلت على جوائز قيمة من بينها جائزة أبيل ميستر عام 1994، وجائزة اليونيسيف عام 1995، وقد أقامت العديد من المعارض في ايطاليا واليابان والتشيك والبرازيل.

وبنفس المكان يحتفل الرسامون الايطاليون بذكرى الأخوين «جريم» في معرض تحت عنوان «سحر القديم» حيث يحتفل حوالي ستين رساما للأطفال بعمل الأخوين «جريم» الذي تم الاعلان عنه مؤخرا من هيئة اليونسكو كتراث للانسانية، وسوف يقوم كل رسام بترجمة احدى أشهر قصص الكاتبين الألمانيين، وسوف يضم المعرض حوالي سبعين لوحة ملونة ومعها كتالوج يحمل صور كل الأعمال مع نص نقدي كتبه بينو بويرو وفالتر فوسكاتو، ويقوم بالاشراف على المعرض اقليم روما بهدف تقديم صورة أكثر عمقا للكاتب الشهير «آندرسون» للأطفال والفتيان، وبالاضافة الى الاحتفال بهذا الكاتب العظيم فان المعرض يهدف الى تقييم وظيفة الكتاب والقراءة عن طريق اللوحات الملونة بدقة.

في الوقت نفسه لم تعلن هيئة الكتاب في مصر حتى الآن عن برامجها للاعداد للمعرضين الرئيسيين لها، بسبب الأزمة الصحية التي تعرض لها رئيس الهيئة الدكتور ناصر الأنصاري، والتي أدت الى دخوله المستشفى واجراء جراحة ناجحة، سوف يعود بعدها الى استكمال برامج المعرض الدولي لكتب الأطفال ثم المعرض الدولي للكبار.

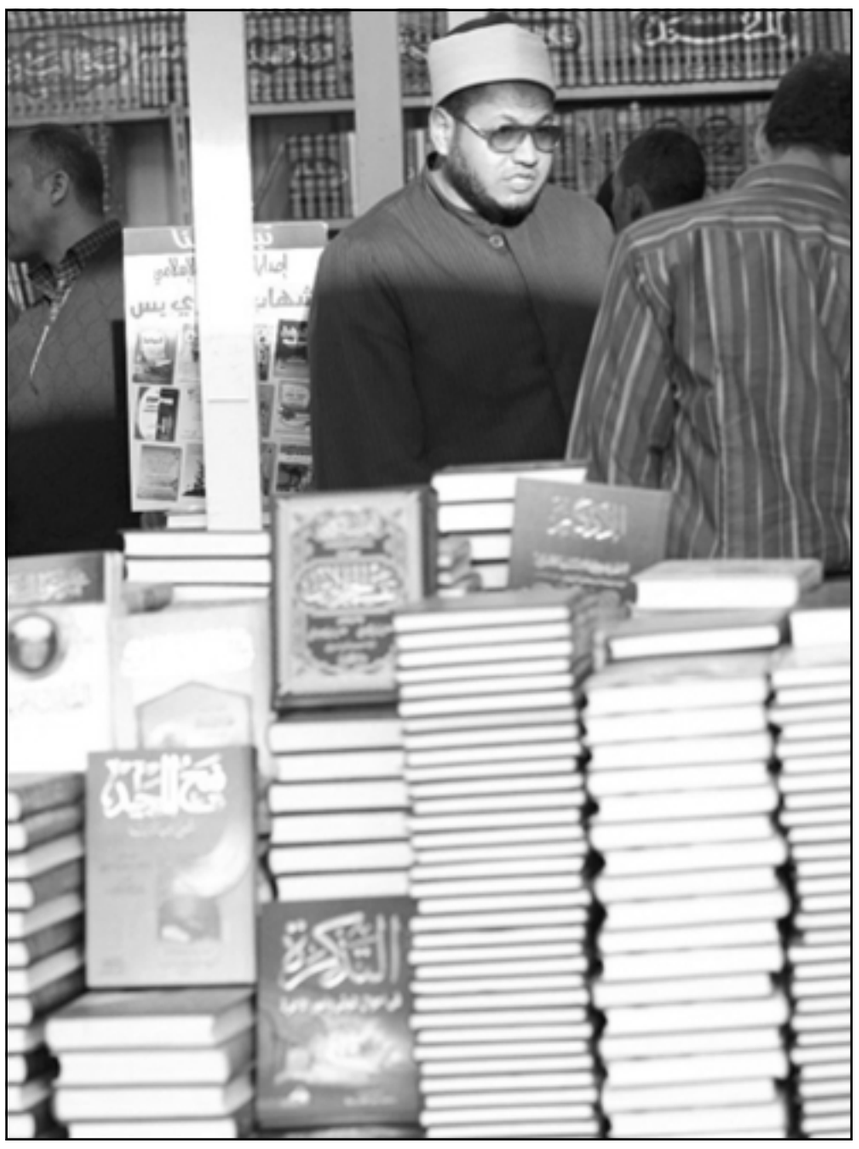

تجربة في الشقاء الطائر:

العراق من تحتنا ومن فوقنا الله والى جانبي ملاك

فاروق يوسف*

1

■ كانت الخارطة الضوئية الصغيرة على ظهر الكرسي الذي أمامي. لم يكن خط الرحلة بين امستردام ودبي واضحا. الاصح أنني كنت أفكر بالوقت. لكل واحد منا ساعة رملية، وفي الاعماق يرقد جرس. كانت الخارطة تعتم وتضيء والى جانبي الأيسر جلست فتاة، لم أتبين ملامحها، غير أنها تتكلم الانكليزية بلكنة آسيوية. ملمس ثيابها يشي بأناقتها وصوتها مبتسم. حين أقمت في الدوحة قبل سنوات سحرتني رقة القلبينيات وشفافية بشرتهن ونصاعة وجوههن وفي السويد أسرني مرح التايلنديات الهادئ، الذي هو مزيج من الخفر والاستفهام والتهذيب والاحترام اما الهنديات فقد رأيت فيهن في المكانين مثالا متقشفا لجمال لا يزول اثره بيسر. استسلمت رفيقة رحلتي للنوم بهناءة مبالغ بها ما أن استقرت الطائرة في سيرها فتذكرت كاواباتا وماركيز وأمجد ناصر. بين النجوم، في عتمة الطائرة، لا أمل لي بالفرار إلا عن طريق لعبة لطالما مارستها: أغمض عيني على واقعة عاطفية عشتها لأستعيد لذائذها الراقدة في مكان خفي من جسدي. كانت تلك اللعبة هي نوع من كتابة نص لا يقرأ. جمل بصرية تأتي وأخرى تذهب. وما بين الذهاب والاياب يطل سؤال واحد لا سواه، صار رفيقي في كل رحلة منذ أن غادرت العراق بشكل نهائي: إلى أين؟ كل مسافة اقطعها هي أرض غربة مضافة تبعدني عن ذلك المكان الذي اتخذ هيئة المعنى المطلق لمفهوم البيت: بيتي في بغداد هو المكان الوحيد في العالم الذي يمكن أن انسبه الي. منذ أن غادرته سكنت بيوتا كثيرة لم يحظ أي واحد منها ببركة الياء الملحقة به. لم أجرؤ يوما على القول: انني ذاهب الى بيتي. بل كنت أردد دائما: انني ذاهب الى البيت.

2

أغبط الذين ينامون في السفر. واذا ما كان سفري ليليا فان العتمة خارج الطائرة تزيد من شعوري بالوحدة. الفتاة الآسيوية نامت بعد عدد من الكلمات المتقاطعة التي تبادلناها. كنت مضطرا الى الاعتذار عن سحبي لحزام الامان من تحتها وكانت مضطرة لسؤالي عن الموقع الذي يتم من خلاله تشغيل الموسيقى. ولا شيء آخر. ذهبت الفتاة الى غيابها وأعفتني من التفكير بها جماليا. في تلك اللحظة قفز الى ذاكرتي مشهد الاثاري الراحل وليد الجادر. في عام 1990 كنا معا في طائرة واحدة متجهة من الدار البيضاء الى عمان وفاجأني الجادر بانه حمل معه قنينة ويسكي وكيسا كبيرا مليئا بالفستق السوداني غير المقشر. يومها عرفت أن الجادر هو مثلي لا ينام في السفر ولأن السفرة كانت طويلة فقد قرر أن يكون تقشير الفستق هو وسيلته لقضاء الوقت. لا أدري كم شربنا ولا أدري كم قشرنا من الفستق لكنني أتذكر الان أن شيئا من النوم تسلل الينا بعد أن ضحكنا كثيرا. كانت الخزفيات التي حملها معه من المغرب هي مصدر كل تلك الجمل التأويلية التي قلناها. وهي جمل فنطازية تمزج الحسي بالخيالي بطريقة يبدو معها العالم مرئيا من خلال عيني طفل. وهو ما كأنه الجادر أكثر مني. كل جزء من سلوكه كان يشي ببغداديته النادرة التي صرنا نفقدها تدريجيا. أجمل الاموات هم اولئك الذين تترك ذكراهم ابتسامة لا تمحى. وليد كان منهم، إلى جانب جبرا ابراهيم جبرا وغالب هلسا وشاكر حسن آل سعيد ومحمد القيسي وممدوح عدوان وصاحب الشاهر ومحمد شكري وحسين الحسيني ومحمد شمسي وموسى كريدي وليلى العطار. ولكن رعد عبد القادر يلقي بي في غابة أخرى. الشاعر الذي مات بعد أن أوهمني بان هناك أمتارا جديدة ستضيفها قدماه للأرض. لم يكن أمامي وأنا المسهد سوى النظر الى الخارطة.

3

لمحت مدنا المانية ومن دولة الجيك رايت برنو فصرت اتخيل شكل تلك الفتاة التشيكية التي جرتني وراءها مستسلما من صوفيا الى مدينتها قبل ربع قرن لأقيم هناك ثلاثة أيام وأنا لا افهم شيئا مما يقال من حولي، ومن العاصمة الهنغارية انتقل خط الطائرة على الخارطة الى مدن في تركيا. كنت أتذكر المتنبي وهو يقول: كم سألنا ونحن أدرى بنجد. وهو عينه سؤال الخارطة. فليست هناك مصائد ولا مكائد ولا أفخاخ. هي حكاية معادة. وفجأة برز على الخارطة اسم اربكني: موصل. ما معنى هذا؟ لقد دخلت الطائرة الاجواء العراقية. صارت اسماء المدن العراقية تترى. فجأة تخليت عن حيادي البصري. انا في فضاء وطني. فوق الارض التي اتمنى لو قبلت ترابها. وقد يمنعني الغيم وبعد المسافة من رؤية ذلك المكان الوحيد في العالم الذي ينتسب الي، بيتي. يا لشقائي، وأنا أمر بوطني محلقا. لا فرصة لي بالهبوط. كانت دموعي قد وهبت الخارطة شفافية جعلتني أشعر أنني أنظر من خلال الضباب. كان العراق تحت فيما الله يرعانا من عليائه والى جانبي فتاة آسيوية نائمة تحلم بلقاء عائلتها بعد ساعات. وحين تحركت الفتاة وشعرت أنها قد استيقظت قلت لها بحماسة مجنون: انه وطني. ردت علي بابتسامة بلهاء: وطنك. فكرهتها. جملتها كانت ملفقة فلم تهبني شيئا من العزاء. لم تشاركني أساي. «الغيبة» كدت أقول لنفسي لولا أنني تذكرت أن لغزا حائرا كالعراق يمكنه أن يخترع لابنائه تجارب شقاء لم يمر بها أحد من قبلهم. لم تتوقف دموعي إلا حين قرأت كلمة : فلوجة. ولا أدري لماذا وضعت على الخارطة والطائرة لا تمر بسمائها ولا هي من المدن الكبيرة التي لا يمكن اغفال المرور من قربها. ولكن مصمم الخارطة كان مخلصا لفطنته. الفلوجة بعد كل ما فعله المحتل الامريكي بها وبعد كل ما جسدته من وعي مقاوم هي ابنة التاريخ. المدينة التي لا يمكن قراءة تاريخ العراق المعاصر من غير المرور بها. المرور بها هو نوع من الحج. «لقد رأيت الفلوجة من الجو» يقول المسافر فينظر الآخرون اليه بشيء من الانبهار.

4

ساعة أو أكثر وأنا أحلق فوق العراق. لقد رأيت بلادي كما لم أرها من قبل. ولم أكن لأتخيل يوما ما أنني سأراها مقيدا بكرسي في طائرة، والى جانبي تجلس فاتنة، تخيلت في لحظة أنها قد اتخذت هيئة عدو. بلادي هناك وأنا أقيم في لا مكان مرتجل، غايته الوصول إلى أي مكان آخر، ينأى بي عن وطني. يهم المسافة أن ابتعد. يهمها أن أكون ضحيتها ونتاجها وفريستها. ولكنني حين قرأت اسم بغداد على الخارطة الصغيرة صرت امزج الموتى بالاحياء، المقاهي بالشوارع، الحارات بالأسواق، المساجد بالكنائس، حسين مردان بمحمد مهدي البصير، مالك المطلبي بمصطفى جواد، الاعظمية بعقد النصارى، ساعة الطيران بالوزيرية، السراي بمقبرة الانكليز، كعك السيد بالمصور الأهلي، حافظ القاضي بجمقجي، جواد سليم بالحلاج، سجائر بغداد بسامي مهدي، سليمة مراد بسينما روكسي، الشواكة بطه باقر، خالد الرحال بالعلاوي. كانت لدي تلاقيات لم أعد أتذكرها حضرت بعضها لكي تكون بديلا عن دموعي. يا لسعادتي بهذا الوطن الغائب. أنا اراه من فوق، هي فرصة له لكي يرى واحدا من ابنائه محلقا بين الملائكة. قلت «الوطن هو الآخر يشفق علي». ليته يفعل ذلك دائما. العراق بالنسبة لي كان هو الآخر دائما. ما من خطوة القيتها على الأرض إلا وكان قياسها قربها أو بعدها عن العراق. من الطائرة كان العراق شيئا آخر.

* شاعر وناقد من العراق يقيم في السويد

قـــص

الصفعـــة

بشير زعبيه*

■ لم ندرك نحن الذين كنا داخل المقهى أن ما سمعناه هو بالفعل صفعة.. وتحديدا على جانب وجه الرجل المحاذي لنا تماما وهو لا زال في نصف انحناءة مديرا رأسه قليلا ناحيتنا كأنه يهيء الجانب الآخر من وجهه لمثلها.. في هذه اللحظة سال خيط دم منحدرا من زاوية الفم عند الجانب الذي اكتسى حمرة كادت تذوب فيها حمرة الدم الذي واصل انحداره نحو أسفل الذقن..

بقي الرجل حينا على وضعه ذاك وهو يسمع سيلا من الشتائم تصدر عن رجل آخر مقابلا له في وضع الجلوس أو كمن يتهيأ للجلوس أو للوقوف وكأنه يسمع تعليمات مكررة ليس أمامها الا الطاعة..

هنا أدركنا أن الصوت الرهيب الذي أجبر الجميع على الالتفات الفجائي بعيون باحثة هو صوت صفعة وجهها هذا الرجل الجالس عند المنضدة المحاذية لنا الى الرجل المنحني بأعلى جسده نحوه.. كان صوت الصفعة حادا حتى طغى على ضجيج المقهى المعتاد..

ما أعطى الحادث غرابة أكثر هو استكانة الرجل المصفوع وبقاؤه ساكنا في نصف انحناءته دون تأوه أو حراك حتى أوقف الرجل الآخر سيل شتائمه آخذا وضع الجلوس الكامل ساندا ظهره قليلا الى الوراء على كرسيه ملوحا في حركة معتادة بقبضة اليد اليسرى نحو النادل المشدوه بدوره والذي هز رأسه مستجيبا ثم اختفى بسرعة ليعود بالسرعة نفسها حاملا اليه نارا للنارجيلة.

تراجع الرجل خطوتين الى الوراء مبقيا على وضعه ذاك ثم استدار منسحبا من المكان منكس الرأس.. للحظة انتابني شعور بالحنق على الرجلين معا.. هذا المتعجرف الذي يجلس في بلادة نافثا دخان نارجيلته نحو السقف وكأن شيئا لم يحدث وذاك المستكين الذي انسحب جارا وراءه الاهانة وحيرة الجالسين دون أية ردة فعل تحسس هؤلاء بأنه قد أهين وانه يرفض هذه الاهانة..ولسبب ما ربما هو تعاطف غريزي، انتابتني وربما آخرين أيضا من حولي حالة غضب رأيت خلالها أنني مختلفة وكأنه يخاطب نفسه بل انني تصورت أنه يخاطبني وهو يقسم أنها ستكون المرة الأخيرة التي يسمح فيها بمثل هذه الاهانة ويعلن أن قدرته على التحمل قد تلاشت، وسيثبت لذلك الوغد أنه قادر على وضع حد لمسلسل الذل هذا وقد اتخذ قراره الآن.. وها هو يتجه عائدا الى المقهى وأنا وراءه أسمعه وأعود خلفه دون أن يعيرني اهتماما كأنني ظل أو شبح لا يراه.. وسخرت من نفسي قليلا وأنا أعيد مشهد ركضي خلفه عندما خرج من المقهى والآن حين أتبعه عائدا اليها.. لكن ذلك الاحساس الزائف عاد ليحول هذه السخرية الى مشروع بطولة.. لذلك قلت له ولا أدري ان كان يسمعني.. نعم ولن تكون وحدك.. أدخل فقط وسترى..

وعندما دخلت وراءه وأصبحت وسط المقهى خيل اليّ للحظة أنني هو وسأتجه حالا نحو ذلك الساقل الذي استقر في جلسته.. يد تحمل كأس الشاي وأخرى تشهر خرطوم النارجيلة وكأن ما حدث قد مضى عليه دهر.. غير أنني في الواقع اتجهت بسرعة نحو مقعدي أرى من هناك مشهد الرجل وهو في طريقه الى المنضدة المجاورة في حالة بين الحماس والارتباك.. عيناه الآن على الرجل الذي اذله أمام الملأ قبل دقائق..واذ صار قبالته مباشرة دس يده في جيب سترته وحاول أن يقول شيئا لكنه تلعثم وخرج كلامه تأتأة.. لا بد أنه كان سيعيد ما رددده صارخا منذ حين وسيعلمه على مرأى و مسمع الجميع أنه لن يتيح له الفرصة منذ هذه اللحظة لتكرار هذا المسلك المهين وأن كل شيء بينهما قد انتهى..

وبسرعة ووسط الرؤوس التي تحلقت حوله وتوتري أنا الأقرب الى الرجلين أخرج يده من جيبه واذا به يحمل مسدسا وفي وقت واحد يطلق صرخة ويطلق معها النار ..لكن باتجاه رأسه هو، فيسقط راكعا عند قدمي صاحب السيارة السوداء ثم يميل ببطء الى الوراء ويقع ملقى على ظهره فاردا ذراعيه بعينين مفتوحتين ونظرة خلتها وأنا في ذهول وشيء من الرعب المباغت أنها مصوبة اليّ.

* كاتب من ليبيا يقيم في القاهرة

قادر الآن أن أتوجه مندفعا نحو ذلك الحقير وأصفعه على الفور وأشتمه بل أركله وأتف عليه دون حاجة للسؤال لماذا يصفع الرجل هكذا ويهينه أو لماذا يسكت الآخر ويتقبل الاهانة بمثل ذلك الذل وينسحب..

لكن ذلك لم يحدث.. فقط ابتلعت حنقي وحاولت أن أعبر عن غضبي واحتجاجي وأنا في مكاني بهز رأسي ناحيتي اليمين والشمال و لم أفلح أيضا فقد تبين لي أن ذلك الاحساس كان زائفا وأن الحقيقي هو شعور بالجبن والعجز لاحظته أيضا في وجوه من تسنى لي رؤيتهم من حولي..

نهضت تحركني نية مزدوجة ..أولا الهروب من الموقف ومن المكان، ثانيا فضول اللحاق بالرجل ومعرفة ما الذي سيفعله خارجا.. شجعني أنه لم يبتعد كثيرا اذ كان متجها نحو سيارة سوداء اللون تنسدل على نوافذها من الداخل وزجاجها الخلفي ستائر حاجبة للرؤية.. اقتربت منه وسألته بلهجة ودود متعاطفة ان كان في امكاني مساعدته وحرصت على أن أبين له انني أعني ما أقول.. التفت نحوي نصف التفاتة دون أن يتكلم لاحظت خلالها أثر الدم المنحدر من زاوية الفم وقد مسح بشكل عشوائي ثم أكمل الخطوات القصيرة التي تفصله عن السيارة.. وقبل أن يهم بفتح بابها الأمامي انهال برأسه على السيارة وصار ينطح سقفها مرات متلاحقة ثم فتح الباب وفجأة أخذ يصرخ وهو يلوم نفسه ويحملها مسؤولية ما حدث بل ما يحدث معه دائما اذ استذكر وبصوت عال وقائع مشابهة تكررت فيها الاهانة وتكرر معها هذا الموقف السلبي من قبله.. روى في حمى صراخه أنه ولسنوات عديدة كان الخادم المطيع.. الصبور.. الساكت عن كل شيء.. لا يرى ولا يسمع فقط الا ما يقول ويأمر به هذا السيد فلماذا يستعبده ويصر على تقزيمه واذلاله؟.. دلف بنصفه الأعلى داخل السيارة ناحية باب السائق مادا ذراعه باتجاه شيء ما بدا أنه يعرف مكانه ثم سحب نفسه خارج السيارة وقد دس الشيء في جيبه دون أن ينقطع عن الكلام لكن بنبرة

لقمان ديركي.. الانسانية و«الهررية».. بين الساخر والمحزن

بيروت ـ من جورج جحا:

في نصوص مجموعة «من سيرة الهر المنزلي» القصصية للكاتب السوري لقمان ديركي يرافق القارىء شعور يبدأ بانطباع هو ان ما يقرأه ليس اكثر من سخرية تسيل من خلال وصف لبعض مظاهر الحياة اليومية، لكن هذا القارىء يجد نفسه في مجالات عديدة –ومن خلال ما يبدو فكاهة و«تنكيتا» يتناول بعض اوجه حياتنا اليومية والعادية– يغوص في مشكلات ومشاعر انسانية عميقة قد تأتي احيانا مشبعة بأحزان مأساوية لا يتوقعها القارىء من كتابات تركز على العادي بكلام «عادي» لا يدعي العمق الذي يصل الى حدود نظرة فلسفية الى الحياة. لكن هذا العادي يصل احيانا الى كل ذلك ويوصلنا اليه. مجموعة ديركي وهي العمل السادس للشاعر والكاتب السوري جاءت في نحو 140 صفحة متوسطة القطع واشتملت على 17 قصة قصيرة. وقد صدرت المجموعة عن دار «رياض الريس للكتب والنشر» وبرسم غلاف لحسن ادلبي.

في القصص ما هو واقعي ممعن في سخره وانواع من المجاز ومن التورية احيانا وفيه كما يبدو لنا في القصة التي اعطت عنوانها للمجموعة دخول عبر ما قد يصح ان نطلق عليه تعبير «الهررية» الى توأم لها بل الى وجهها الاخر اي «الانسانية» فنعيش مع مشكلات وقضايا «انسانية» ربما توهمنا انها حكر على «بني ادم» . وقد يتساءل القارىء هل «يؤنسن» ديركي عالم الحيوان ام انه يود ان يقول ان «الهررية هي الاخت الصغرى للانسانية من حيث كثير من المشكلات والاحزان. قصة «من سيرة الهر المنزلي» تبدأ بهذا الشكل «لم اكن احب القطط ولم افكر ابدا بمداعبة احد القطين اللذين يعيشان في بيتنا بل كنت استغرب دائما ما يجعل القط هكذا ذا كبرياء... الا انني غيرت رأيي في احدى الامسيات بعد ارتكابي حماقة لا اتذكرها وغيابي لاكثر من اسبوع عن البيت ... عندما فتحت اختي الباب ونظرت الى ببرود وعتاب فيه شيء من التشفي ... وكان الجميع يحملون ذات المشاعر بل ان ايا منهم لم يرد علىّ وفي تلك اللحظة حدث شيء مدهش اذ ركض من بين اقدامهم القط الاشقر... ورمى نفسه على صدري معانقا اياي».

وتحدث عن عالم القطط التي تعددت في منزله وعن احزانها ومشكلاتها وعن الغيرة التي تتملكها عندما تشعر باهمال وعن «كبر نفس وشهامة» بعضها ودناءة البعض الاخر.

ووصف ذلك الشعور الخفي الذي يدفع الواحد منها عند احساسه بدنو اجله الى الابتعاد ليلقى نهايته وحيدا. ووصف لنا هرا كان يخاف منه فلا يتركه يلمسه حتى حين يطعمه بل كان يسرع الى الهرب. وهنا اورد مثلا يدعم النظرية التي تقول بان الحيوانات تشعر بحزن الانسان. قال «وفي احدى الليالي كنت حزينا للغاية وكان الجميع نياما. خرجت من غرفتي وفي الممر صادفت جودي «الهر» فجلست على الارض. نظر الى واحس بحزني ولم يهرب.. بقي واقفا ينظر الى كأنه يشاركني احزاني. ولكنه بعد ذلك تراجع الى الخلف بهدوء شديد وانسحب على مهل كي لا يخدش مشاعري فهو في النهاية يخاف مني بشكل مرعب».

في قصة «مسرح البهجة» مثلا وصف مضحك لبعض مشكلات الطلاب و«مقالبهم» لكن ذلك لا يمر بشكل «مجاني» اي لمجرد سرد بعض قصص «الشيطنة» في ذلك العمر.. بل يصل ببراءة مدعاة وحيادية مصطنعة الى انتقاد عقليات تسود بعض مجالات حياتنا الوطنية وحتى بعض اشكال ممارستنا لعباداتنا. وفي قصة «امّة فيروز» المهداة الى السيدة فيروز في يوم ميلادها ووسط سرد ممتع وساخر من امور كثيرة يوصلنا دون وعظ الى التقدير الكبير الذي تكنه الناس في بلده للفنانة الكبيرة والتي يضعها في منزلة تنظر اليها رموز كثيرة في مجالات حياتنا وبينها رموز سلطوية بطريقة رفع البصر الى اعلى.. الى منزلتها الفنية الكبيرة. وهو لا يعجب بفيروز فقط بل بنجلها الفنان زياد الرحباني ايضا. ففي قصة «اهلا اخي زياد» مثلا حوار ممتع ساخر يذكرنا بالفنان الرحباني نفسه.

ففي حانة فرنسية الاسم «بار شيه اندريه» في بيروت او «عند اندريه» بالعربية يدور حوار مفترض بين زياد ومصطفى او «ابو صطيف الحلبي» التاجر الحلبي الذي جلس قربه وهو لا يعرفه. والحوار اتهام صارخ للمجتمع بعدم تقدير الفنان الحقيقي الذي لا يصل في دخله المادي الى مستوى مغني المطاعم والحفلات والاعراس. ويعكس الحوار ايضا ما يبدو ان الكاتب اراد ان يصفه بانه اتجاه قوي الى الهبوط يتحكم بالسوق الفنية. يدور حوار لا نقرأ فيه رد زياد بل نستنتجه من كلام الحلبي. يسأله عن سبب تسمية البار فيرد انه على اسم صاحب المحل فيشرع الحلبي بمناداة النادل «اخي شيه». ويسأل زيادا عن اسمه واسم عائلته ويقول «رحباني.. اي بيت رحباني معروفين عندنا في حلب.». ويسأله عن عمله ثم يعلق على الرد «موسيقي.. يعني الاتي.. على اي الة بتعزف».

وبدا ان الجواب مخيب قليلا اذ علق الحلبي قائلا «بيانو.. اي اش عليه البيانو الة كويسة بس المهم وين بتعزف وبتغني.. بأي مطعم يعني... ما بتعزف بالمطاعم ولا بتغني بالاعراس.. اي ما بيصير اخي زياد... تعال لحلب وانا بدبرك لانو المطرب سمير جركس صاحبي للموت... بحكي لك معه مشان تطلع وراه بالاعراس والتلبيسات... وبالنسبة للغنا اسهل بكتير. ابوسمرة بيقول «كنا ستة على النبعة» وانت بترد وراه «اجا المحبوب صرنا سبعة».

يسأله ابو صطيف بعد ذلك «في حدا غيرك بالعائلة بيغني..... الوالدة.. شي حلو... واش اسمها..... فيروز.. فيروز اسم حلو وفني اي والله حرام عليك اخي زياد ليش خانقها ببيروت جيبها لحلب منشان تنطلق... اخي بنجيب الوالدة وبنحطها عند الحاجة امي بيتسلوا مع بعض وهيك بشوف لها اعراس نسوان تغني فيهن.. ما في ولا زلمة بالعرس والفرقة اللي معها كمان نسوان .. قدرية على العود وام ديبو على الكمنجة وام شمندي على الرق وعيوش على الدربكة». (رويترز)